بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة أرأيت مكية

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾.

قرئ: ﴿أريت﴾ بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع، ولم يصح عن العرب ريت، ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أوّل الكلام ونحوه:

صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ في الضرع ما قرى في العلاب

وقرأ ابن مسعود: أرأيتك بزيادة حرف الخطاب. كقوله: ﴿أرايتك هذا الذي كرّمت علي﴾[1]، والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه.

فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾.

﴿فذلك الذي﴾ يكذب بالجزاء هو الذي ﴿يدع اليتيم﴾، أي: يدفعه دفعًا عنيفًا بجفوة وأذىً ويردّه ردًّا قبيحًا بزجر وخشونة. وقرئ: ﴿يدع﴾ أي: يترك ويجفو.

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾.

﴿ولا يحض﴾ ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف. يعني: أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين قدم عليه علم أنه مكذب، فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين.

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾.

ثم وصل به قوله: ﴿فويل للمصلين﴾ كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك. فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله ﷺ والسلف ولكن ينقرونها نقرًا من غير خشوع وإخبات، ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور.

ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾.

كما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى: أنّ هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام. علمًا على أنهم مكذبون بالدين، وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصيغة فيا مصيبتاه! وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفًا على الذي يكذب، إمّا عطف ذات على ذات أو صفة على صفة. ويكون جواب أرأيت محذوفًا لدلالة ما بعده عليه. كأنه قيل: أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين، أنعم ما يصنع! ثم قال: فويل للمصلين، أي: إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين، على معنى: فويل لهم: إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب، وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم.

فإن قُلْتَ: كيف جعلت المصلين قائمًا مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد! **قُلْتُ:** معناه الجمع لأنّ المراد به الجنس.

فإن قُلْتَ: أي: فرق بين قوله: عن صلاتهم، وبين قولك: في صلاتهم؟ **قُلْتُ:** معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى: في أنّ السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم. وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره[2]. ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم. وعن أنس رضي الله عنه: الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم، وقرأ ابن مسعود: لاهون.

فإن قُلْتَ: ما معنى المراءاة؟ **قُلْتُ:** هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها. لقوله عليه الصلاة والسلام: ولا غمة في فرائض الله[3]

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 62.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير.. (الحديث رقم: 6051)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (الحديث رقم: 97 ـ 573) وأخرجه البخاري في كتاب: السهو، باب: ما جاء في السهو إذا قام من ركعتين الفريضة (الحديث رقم: 1224)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (الحديث رقم: 86 ـ 570)، وأخرجه البخاري= = في كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، حيث كان (الحديث رقم: 401)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة، والسجود له، (الحديث رقم: 89 ـ 572) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: سجدتي السهو فيما تشهد، (الحديث رقم: 1039)، أخرجه ابن حبان في كتاب: الصلاة، باب: سجود السهو، (الحديث رقم: 2674)، وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: إذا صلى خمسًا، (الحديث رقم: 1023).

(3) تقدم في سورة يونس.

لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت. فوجب إماطة التهمة بالإظهار، وإن كان تطوعًا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصدًا للاقتداء به كان جميلاً، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح. وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها، فقال: ما أحسن هذا لو كان في بيتك! وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة، على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود.

وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾.

﴿الماعون﴾ الزكاة. قال الراعي: قوم على الإسلام لما يمنعوا، ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود: ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها: وعن عائشة: الماء والنار والملح. وقد يكون منع هذه الأشياء محظورًا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار، وقبيحًا في المروءة في غير حال الضرورة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديًا»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكوثر مكية

في قراءة رسول الله ﷺ: إنا أنطيناك بالنون[2]، وفي حديثه ﷺ: «وأنطوا الثبجة»[3]. والكوثر فوعل من الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. وقال:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل[4] كوثرا

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾.

وقيل: الكوثر نهر في الجنة. وعن النبي ﷺ أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير»[5]. وروى في صفته: أحلى من العسل، وأشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء[6]. وروى: لا يظمأ من شرب منه أبدًا، أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث لرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبرّه[7]، وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير. فقال له سعيد بن جبير: إن ناسًا يقولون: هو نهر في الجنة. فقال: هو من الخير الكثير.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾.

والنحر نحر البدن، وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع، والنحر بمنى. وقيل: صلاة العيد والتضحية، وقيل: هي جنس الصلاة، والنحر وضع اليمين على الشمال. والمعنى: أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطى ذلك كله أنا إله العالمين[8]، فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معطٍ وأعظم منعم، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغمًا لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفًا لهم في النحر للأوثان.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾.

﴿إن﴾ من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم **﴿هو الأبتر﴾**، لا أنت. لأنّ كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، ونكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف. فمثلك لا يقال له: أبتر، وإنما الأبتر هو شانئك المنسى في الدنيا والآخرة، وإن ذكر ذُكِرَ باللعن. وكانوا يقولون: إنّ محمدًا صنبور إذا مات مات ذكره. وقيل: نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر، والأبتر الذي لا عقب له. ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له. عن رسول الله ﷺ[9]: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه»[10].

---

(1) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفاسيرهم زيلعي 4/ 299.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب القراءات...

(3) تقدم في يونس.

(4) العقائل: جمع عقيلة وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة.

(5) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة (الحديث رقم: 53 ـ 400).

(6) أخرجه الحاكم في المستدرك 3/ 171.

(7) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: ذكر الحوض (الحديث رقم: 4303)، وأخرجه أحمد في المسند (الحديث رقم: 5/ 275).

(8) قال أحمد: جعل الزمخشري توسط الضمير بين الجزءين مفيد للاختصاص؛ لأن إفادته ههنا لذلك بينة مكشوفة.

(9) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم زيلعي 4/ 305.

(10) ذكره الزبيدي في الاتحاف 9/ 645، وصدره عند الترمذي من حديث أنس في كتاب: ثواب القرآن (10).